

الفلسفة الإسلامية ودراساتها

للدكتور إبراهيم يومى مذكور

قد يكون من عبث القول أن نحاول اليوم إثبات وجود فلسفة إسلامية انفردت بعالمها من خصائص ومميزات؛ فقد انقضى الزمن الذى ادعى فيه (رينان) ومن نحاه نحوه أن فلاسفة الإسلام اكتفوا بترديد نظريات (أرسطو) دون أن يغيروا فيها شيئاً^(١). هناك فلسفة إسلامية، كما أن هناك فلسفة مسيحية، أو بمباراة أخرى تقابل المدرسة الفلسفية العربية في الشرق، المدرسة اللاتينية في الغرب. ومن هاتين الفلسفتين مضافاً إليهما الدراسات اليهودية يتكون تاريخ البحث النظرى في القرون الوسطى. للإسلام فلسفة قد امتازت بموضوعاتها وأبحاثها، بمسائلها ومعضلاتها، وبما قدمت لهذه وتلك من حلول وأجوبة. فهي تعنى بمشكلة الوجود والتعدد (le problème de l'Un et du multiple) والصلة بين الله ومخلوقاته (le rapport entre Dieu et le monde) التى كانت مثار جدل طويل بين علماء التوحيد المسلمين^(٢). ونحاول أن نوفق بين الوحي والعقل، بين العقيدة والحكمة، بين الدين والفلسفة، وأن تبين للناس أن الوحي لا يناقض العقل فى شيء، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس وثبتت أمام الخصوم، وأن الدين إذا تأخى مع الفلسفة أصبح فلسفياً، كما تصبح الفلسفة دينية^(٣). وقد وصل الفلاسفة المسلمون فى كل هذه النقاط إلى نتائج جديرة بالتقدير والاعجاب. لا يستطيع باحث أن ينكر أن هؤلاء الفلاسفة قد أخذوا عن (أرسطو) معظم آرائه، وتأثروا بأفلاطون (Plotin + 270) إلى حد كبير. ومن ذا الذى لم يتعلم على من سبقه، ولم يقتف

ولم ننقل هذا إلا لأن الفريق الذى طالب بقتل ابن عمر كذب ما روته «يثرب» فى ملحقاتها من أن أبا لؤلؤة قاتل عمر انتحراً لما كثر عليه الناس وأيقن من الهلاك، وأكد أنه لم ينتحراً، وإنما ناز رجل من المصلين فقتله وأخذ منه الخنجر وكذب أيضاً أن الخنجر كان مسموماً، ولم يحفل ما قاله الطبيب الشرعى فى ذلك، وقال إن ستة ممن طعنهم أبو لؤلؤة بخنجره هذا شفوا ونجوا، ولو كان الخنجر مسموماً لما توارى، وإنما مات من مات لصابته فى مقتل، أو من شدة الغزو وطال الجوار والأخذ والرد بين «يثرب» ومخالفها فى الرأى حتى أنكروا عليها أن الحدث كان عن تأمر، واستهجنوا منها أن تحض على اضطهاد العجم والنصارى، وقالوا إن هذا التحريض من سوء الرأى، وإنه خلیق أن يفسد أمور الدولة ويخلق لها متاعب هى فى غنى عنها فى عهد التأسيس، وأنه توجد عصبية لا يؤمن شرها فى المستقبل، وتفاقم الخلاف بين الفريقين حتى لدعا على كرم الله وجهه، الخليفة إلى إغلاق يثرب، أو على الأقل تعطيلها حتى تفر الفورة وتهب النفوس، ولكن الخليفة شق عليه أن يصيب حرية الرأى فى عهده أى سوء، فاكتمى بالنصح الجريئة «يثرب» ألا تسرف فى دعايتها، وأن تتق اللجاجة وما قد تجر إليه من الفتنة

وقد آثرنا التلخيص، لأن النقل يطول، والقارىء أدرى بالصحف وكيف تبدى وتميد حتى تمكر الجو وتضجر وتفتى. وقد بلغ من تفرق الرأى فى ذلك الوقت أن الناس كانوا يجلسون فى المسجد حلقات وفى أيديهم أعداد «يثرب»، فهذا يؤيد، وذاك يمارض ويكذب، حتى خيفت الفتنة وحسبنا هذا القدر إبراهيم عبد القادر المازنى

مجموعات الرسالة

سجل للأدب الحديث، ودائرة معارف عامة

تتم مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٠ قرشاً

تتم مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثانى) ٧٠ قرشاً

وتتم كل مجلد من المجلدات الثلاثة خراج القطر ٥٠ قرشاً

(١) لقد تناقض (رينان) Renan, Averroès, p. 11, 46. مع نفسه؛ فيعد أن تولى وجود فلسفة إسلامية، عاد فقرر «أن العرب، مثل اللاتينيين، مع تظاهروهم بشرح (أرسطو) قد عرفوا أن يخلقوا لأنفسهم فلسفة مملوءة بمناصر خاصة بها، ومختلفة تمام الاختلاف عن تلك الفلسفة التى كانت تدرس فى اللبسة» (Ibid., p. 89)

(٢) Madkour, La place d' al Fârâbî, pp. 46 et suiv.

(٣) Ibid., pp. 181 et suiv.

الأخطاء اللغوية والفنية والتاريخية . ولعل سر ذلك أن أغلب من كتبوا في تاريخ الفلسفة الإسلامية لا يجيدون العربية ، ولا يحيطون تمام الأحاطة بتاريخ الثقافة الإسلامية ؛ أو إن عرفوا ذلك فهم يجهلون تاريخ الفلسفة العامة ، ولم يتوفر لديهم التفكير الفلسفي المنتظم ؛ ولنا في حاجة إلى سرد أمثلة ، فإن هذا الحكم ينطبق ، إذا استثنينا طائفة محدودة ، على عامة الكتب المتصلة بتاريخ الفلسفة والفلاسفة المسلمين . وأما العيب الثاني فيل شديداً إلى الاختصار يكاد يخل بالعرض المطلوب ، ويحول دون القارئ والنفاذ إلى صميم ما يقرؤه . ومن أوضح الأمثلة على ذلك مختصر قيم حقيقة للعالم الهولاندي (دي بور) ؛ غير أن عيبه المهام يرجع بالتحديد إلى اختصاره المبالغ فيه^(١) ؛ وفوق هذا فإن هذه الكتب في جلها قديمة العهد ، قد ألفت في زمن ما كان يُعرف فيه عن التاريخ الإسلامي إلا الشيء القليل . أما اليوم وقد تقدمت معلوماتنا تقدماً محسوساً في هذه الدائرة ، فنحن في حاجة ماسة إلى أبحاث تتناسب مع مصادرنا الجديدة ، ومع ما استكشفنا من مخطوطات ومؤلفات للفلاسفة والعلماء المسلمين

لا يقاس انتشار صوت مفكر أو مخترع بمقدار ما أحدث من آراء ومخترعات فقط ، بل بدرجة نبوغ الوسط الذي يعيش فيه والشعب الذي ينتمي إليه . فالأمة النبيلة تزيد أبنائها عظمة على عظمتهم ، وتعمل على رفعتهم بقدر قد لا يصلون إليه وحدهم . ورب نظرة عادية لاقت مشجعين فتمموا ، وأخذوا بيدها حتى صعدت إلى عتات السماء ؛ ورب فكرة ممتازة صادفت منبت سوء فانت لساعتها . عرفت ذلك الشعوب الناهضة ، فأشادت بذكر علمائها وفلاسفتها ، وخدمت في الوقت نفسه العلم والثقافة الإنسانية . فهي تخلد ذكرى رجالها بمختلف الوسائل ، وتعمل على نشر آثارهم ما وجدت إلى ذلك سبيلاً . فمن تماثيل مقامة في المدن والقرى ، ومن جمعيات نشر وترجمة وتأليف قد أخذت

أثر من تقدموه ؟ . . . وما نحن أولاء أبناء القرن العشرين لانزال عالة في كثير من المسائل على أبحاث الأغريق والرومان . غير أن الفلسفة الإسلامية ، وإن بنيت على أفكار السابقين ، تشمل على نظريات جديدة ؛ فهي فلسفة أنتجتها البيئة والوسط ، وأملتها الظروف المحيطة بها ؛ وتلك سنة من سنن التاريخ ، وأصل من أصول الاجتماع . على أنا إذا نظرنا إلى المسألة من وجهة الفرد ، وجدنا القانون لا يتغير ، ولا حظنا أن الفكرة الواحدة إذا تناولها بالبحث أشخاص متعددون ، ظهرت في مظاهر متباينة . لفيلسوف أن يقتض من آخر بعض آرائه ، ولن يمنع ذلك من أن يأتي بنظريات خاصة وفلسفة متميزة . (فاسبينوزا + ١٦٧٧) مثلاً ، رغم متابته الواضحة (لديكارت + ١٩٥٠) ، يعد بحق صاحب مذهب فلسفي مستقل . وكذلك (الفارابي + ٩٥٠) و (ابن سينا + ١٠٣٧) و (ابن رشد + ١١٩٢) ، الذين كانوا تلامذة مخلصين (لأرسطو) ، قد اعتنقوا آراء تمتاز كثيراً عما جاء به أستاذهم . وإذا استطاع العالم الإسلامي أن يكون لنفسه فلسفة تلتهم وظروفه الدينية والاجتماعية

بيد أن الفلسفة الإسلامية ، في تاريخها ، في نظرياتها ، في رجالها ، لم تدرس الدرس اللائق بها ، ولا تزال الحلقة المفقودة في تاريخ الفكر الإنساني^(٢) . ففي الساعة لم يبين الباحثون بدقة أصل نشأتها ، وتاريخ تكوينها ، والعوامل التي أدت إلى نهوضها ، ولا الأسباب التي انتهت بانحطاطها والقضاء عليها ، ولم يناقشوا نظرياتها واحدة واحدة ليوضحوا ما اشتملت عليه من أفكار الأقدمين ، وما أنتجت من ثروة جديدة . وأما رجالها فغرباء في أوطانهم ، مجهولون لدى أقرب الناس إليهم ؛ ولا أدل على ذلك من أن كثيرين منا يعرفون عن (روسو + ١٧٧٨) أو (سبنسر + ١٩٠٣) ما لا يعرفون عن (الكندي + ٨٧٠) أو (الرازي + ٩٣٢) ، ولو لم يقيض الله لفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم جزءاً من أبحاثهم ودراساتهم ، لأصبحنا ونحن لا نعلم من أمر الفلسفة الإسلامية شيئاً

إلا أن هذه الدراسات وتلك الأبحاث قليلة جداً ومميبة من وجهين : أولاً أنها للجانب الفلسفي واشتغالها على كثير من

(١) نفي هنا إلى الكتاب الآتي : Boer (T. J. de), *Geschichte der Philosophie in Islam*, Stuttgart, 1901. وقد ترجمه إلى الإنجليزية (جونس) تحت هذا العنوان *The History of Philosophy in Islam*. London, 1903. وقد تعد الأصل الألائ وترجمته الإنجليزية ؛ ويغلب على ظننا أن المؤلف يفكر في إعادة طبعه في هذه الأيام

(٢) Id., *L'organon d'Aristote dans le monde arabe*, p.269

خطوات أخرى حثيثة ومتتابعة . إنه لمحزن أن يبقى قدر من مؤلفات (الفارابي) مخطوطاً حتى اليوم ، وموزعاً بين مكاتب أوروبا المختلفة : ليدن ، باريس ، والاسكريال^(١) . على أن ما طبع من كتب هذا الفيلسوف العظيم مملوء بالأخطاء . فهل لنا أن نسي إلى جمع مؤلفاته في شكل *Corpus* وطبعها كلها طبعاً مناسباً ، مصحوباً بوسائل التحقيق والابيضاح الضروري . الفكرة تخامرنا منذ زمن ؛ وقد أشرنا إليها في كتابنا على (الفارابي) ، ونحن نرحب بكل من ينضم إلينا في تنفيذها^(٢) . وليس (ابن سينا) بأعظم حظاً من سلفه وأستاذه ؛ فإن كتابه الأكبر في الفلسفة : « الشفاء » ، قد طبع طبعة مشوهة في طهران منذ خمسين سنة . وقد أهمل الناشر الجزء الأول منه ، الخاص بالمنطق ، والذي اهتمتينا إليه أخيراً في مخطوطة بالبرتش ميوزيم (British Museum)^(٣) . وأخرى بالأنديا أوفس (India Office) . وإنا نأمل أن نوفق يوماً لنشر هذه المخطوطة وضمها إلى الجزء من الآخرين في طبعة جديدة مستقيمة

تلك سلسلة من الأعمال تبين نواحي النص في دراسة الفلسفة الإسلامية ، وهناك ملاحظات كثيرة متعلقة بكبار فلاسفة الاسلام الذين لم نشر اليهم قد أرجأناها إلى فرصة أخرى . وكلنا رجاء أن تنضاف الأبدى على حرث وزرع هذا الحقل المتراعى الأطراف ، وأن تتمهده متكافئين حتى يؤتى أثماره الطيبة

إبراهيم بيومي مكرم

دكتور في الآداب والفلسفة

(١) Brockelmann (c.), *Geschichte der arabischen Literatur*, Berlin, 1902, L. I., p. 211.

(٢) Madkour, *La place d' al Fārābī*, pp. 223 — 25.

(٣) Id., *L'organon d'Aristote*, ..., p. 20.

على عاتقها إذاعة ما أنتج السلف من أفكار . فهل آن لنا أن نتخذى بهذه المثل الصالحة ، وأن نمرف لتاريخنا حقه كي نمرف وننال منزلتنا تحت الشمس ؟ متى يكتب الناس عن (الفارابي) بقدر ما كتبوا عن (موسى بن ميمون + ١٢٠٤) ؟ ومتى نمرف مؤلفات (ابن سينا) كما عرفت كتب (سان توما + ١٢٧٤) ؟ ومتى يُدرس (الفزالي + ١١١١) بقدر ما يُدرس (ديكارت) ؟

إن دعوتنا هذه موجهة إلى كل بلاد الشرق ، وبوجه خاص إلى مصر التي نستطيع بحكم مركزها الاقتصادي والاجتماعي والعلمي أن نخدم البحث والتأليف . فإلى أبناء مصر عامة ، أفراداً وجماعات ، شعباً وهيئات ، وإلى الحكومة والجامعة المصرية خاصة ، نتقدم بكلمتنا هذه آمليين أن يعمروا تاريخ الفلسفة والبحث العقلي في الاسلام جانباً كبيراً من الأهمية . إن ميدان العمل فسيح ، وإن سبله عديدة ، ولنا الآن بصدد أن نرسم خطة شاملة ، أو أن نبين منهجاً مكتمل المواد ، وإنا نريد أن يتولى الشرقيون بالدرس فلاسفة الاسلام على النحو الذي درس به الغربيون رجالهم . لنترجم لمفكرينا ترجمة مستفيضة ، ولنصف وصفاً دقيقاً نواحي حياتهم المتعددة ؛ لنبحث عن أصول نظرياتهم لدى حكماء الأغريق والمهند والعراق ، ولنقارن هذه النظريات بما جاء به اللاتينيون في القرون الوسطى ، ولنبين وجوه النسبة بينها وبين الأفكار الحديثة . إنا لا ننكر أن هذه الأبحاث مملوءة بالصعاب ، إذ تستلزم معرفة عدة لغات : قديمة وحديثة ، شرقية وغربية ، وتستدعي الاطلاع على مصادر لا حصر لها ، ولكن إن لم يكن في هذه الدراسة إلا أنها عمل جديد من نوعه لكفى مرغبا في مزاوتها والاقبال عليها

وأخيراً لنعمل على طبع ونشر مؤلفات الفلاسفة المسلمين ، فإنا لا نستطيع أن نفهمهم فهماً حقاً دون أن نقرأهم بأنهم وفي كتبهم ؛ وهنا نتجه بصفة خاصة إلى الجامعة المصرية التي ساكت في هذا الباب مسلكتاً محمد عليه ، فقد بدأت منذ زمن ، متبعة سنة الجامعات الأوروبية ، في أحياء المخطوطات العربية ، وجمع المخطوطات الإسلامية وطبعها^(١) . ولعلها تخطو في هذه السبيل

(١) من الأمثلة الطيبة لمطبوعات الجامعة المصرية كتاب قد التز لتقدمة

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرئين)

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن « الرسالة » والتمن ١٢ قرشاً